ملحق يصدر شهريا
مجانا

الاتحاد

حزيران
١٩٥٠

من شعر الزنوج

رأيت ملايين الاكف السوداء...

للشاعر الزنجي الاميركي : رتشارد ريت

-١-

انا اسود ، وقد رأيت اكفا سوداء
ملايين وملايين منها

****

فمن ملايين الخرق البالية
خرجت اصابع سوداء ، نحيلة وضيعة ،
تبحث عن الحياة باضطراب وحرقة .

****

لقد رأيتها تنغو على الحلمات السوداء
في الصدور السوداء
للامهات السوداوات

****

وبرغبة الطفولة في التملك
رأيتها تعبث بلعب الاطفال :
حمراء ، وخضراء ، وزرقاء ، وصفراء ، وبيضاء
وبلون البرتقال والارجوان .

****

وببراءة الطفولة ولهوها
رأيتها تدني من افواهها المفتحة
قطع الشوكولاتة ، والحلويات ، والفواكه ، والمرطبات
حتى تتسخ الأصابع السوداء بالعصير الحلو .

****

وفي حمى الرياضة ومرحها
رأيتها تتقاذف بالكرات
وتتصارع بالقبضات
وتلوح بالخناجر الخشبية .

****

بالغبطة تشع من العيون البريئة ،
رأيتها تطبق على النبات .
وربما ...
في رأس السنة ، في العيد الكبير ،
في ميلاد لنكولن ، او في اول ايار ،
تزهو بامتلاك ورقة خضراء جديدة ،
هي الدولار !

****

وبأكف ملطخة بالحبر ،
حملت هذه الأصابع النحيلة
الاقلام والمساطر والخرائط والكتب

****

وأخيراً ...
رأيتها تقبض على النرد ، وعلى اوراق اللعب .
على اقداح الخمر ، وعلى السجائر ،
في زهو الفتيان ، في شرخ الصبا .

****

-٢-

انا اسود ، وقد رأيت اكفا سوداء ،
ملايين وملايين منها .

****

رأيتها تعبة ، مرتبكة ،
معقمة ومليئة بالقروح
تأكلها اشرطة الالات المسرعة
كانت الالات تنهكها وتحطمها
كانت تنتفض صعداً وهبوطاً
مع نبض الالات الهائجة ...
وكانت الأكف السوداء تزيد اكوام الذهب
في بنوك الاسياد
ضخامة وطولا !

****

واعلى فأعلى ، كانت هذه الاكف تكوم
الفولاذ ، والحديد ، والخشب ،
القمح ، والشعير ، والقطن ،
الصوف ، والبترول ، والفحم ،
اللحم والفواكه والزجاج ،
حتى زاد ما تراكم
عن امكانية الشراء ...

****

ورأيتها تقبض على البنادق
ثم تلقيها على اكتافها
ثم تسير الى الميدان
ثم تقبع في الخنادق
وتحارب وتقتل وتخضع امماً
هذه الأمم التي هي من مستهلكي البضائع
التي انتجتها الأكف السوداء !

****

وعادت هذه الأكف لتكوم البضائع ،
أعلى فأعلى ،
حتى زاد ما تراكم
عن امكانية الشراء ...

****

واذ ذاك ،
كانت الأكف السوداء
امام باب المصنع ،
تقبض ، مرتجفة ، فزعة ،
على ورقة الاستغناء عن العمل .

****

وانقبضت الأكف السوداء عاطلة
وتأرجحت الأكف السوداء فارغة
واخذت تتحول الى النعومة .
واذا هي ضعيفة ، بادية العظام
من البطالة والجوع

****

وازدادت ألأكف السوداء اضطراباً وحرقاً
وكانت تفتح وتقبض في فزع
وفي شك وفي تردد

****

-٣-

أنا اسود ، وقد رأيت اكفا سوداء
ملايين وملايين منها .

****

بتردد كانت تسعى ،
في ايام الموت البطيء ،
نحو البضائع التى انتجتها هي .
ولكن الاسياد قالوا ان هذه البضائع
هي ملكهم الفردي

* *

وببسالة ،
اضربت الأكف السوداء دفاعاً عن الحياة
فكانت دماء ...
وقال الاسياد : هذه جريمة !
فلمست الأكف السوداء
قضبان الحديد الباردة في السجن ،
القضبان نفسها التي صنعتها هذه الأكف
وباستيئاس جربت قوتها بها
فاكتشفت أنها لا تستطيع
ان تلويها
وان تكسرها

****

واضطربت الأكف السوداء ،
وحاولت خلاصا ،
ولكن الف كف بيضاء تجمعت عليها
وكبلتها بالحديد .

****

وامام السحنات البيضاء الهائجة
سحنات تقطر منها السادية دماً
رفعت الأكف السوداء
اصابع خرساء ...
في ضراعة لا تجدي
وتأرجحت الأكف السوداء
تحت عقدة ألحبل
التي كانت تضيق حول العنق الاسود

(البقيه على الصفحه الرابعه عمود ١)

كيف اطعم مو

بقلم : م . ي .

كان في سالف الزمان موظفان . وكانا فارغي الرأس ، وهكذا وجدا نفسيهما ذات يوم وقد نقلا فجأة الى جزيرة قفراء وكأنهما نقلا على بساط الريح .

كانا قد صرفا طيلة حياتهما في حكومة حيث تحفظ السجلات . ولدا هناك ، ونشآ هناك ، ونميا هناك ، وبالتالي لم يكن لهما أي المام بشيء ، خارج تلك الدائرة . والعبارة الوحيدة التي كانا يعرفانها : « مع الاحترام الجزيل ، خادمكم الحقير ... »

ولكن الدائرة الغيت، ولما لم تعد ثمة حاجة الى خدماتهما فقد اطلق سراحهما. وهكذا هاجر الموظفان المتقاعدان الى شارع بوديا تشسكايا في بطرسبرج . وكان لكل منهما منزله الخاص وطاهيه الخاص ومعاشه .

واستيقظا في الجزيرة القفراء فوجدا نفسيهما تحت غطاء واحد . وفي البداية لم يستطيعا ، طبعاً ، ادراك ما حل بهما ، وتكلما وكأن أمراً ، غير عادي لم يقع .

وقال احدهما : « أي حلم غريب رأيت الليلة الماضية ، ياصاحب الفخامة ، خيل الي اني في جزيرة قفراء . »

وما كاد يتفوه بهذه الكلمات حتى قفز واقفاً ، وقفز الموظف الآخر ايضاً . وصرخا معاً ، مشدوهين :

« يالله ! ما معنى هذا ؟ اين نحن؟ »

وراح يتلمس الواحد منهما الآخر ليتأكدا انهما غير حالمين ، وفي النهاية اقنعا نفسيهما بالحقيقة المحزنة .

أمامهما امتد البحر المحيط ، وخلفهما بقعة صغيرة من الارض ، ووراءهما يمتد المحيط ثانية . وراحا يبكيان ، للمرة الاولى منذ أن أقفلت دائرتهما .

ونظر الواحد منهما الى الآخر ، ولاحظ كل منهما ان الآخر لا يرتدي سوى قميص النوم ، ووسامه معلق حول عنقه .

وقال احدهما : « الحقيقة كان يجب أن نتناول القهوة الآن . » ثم عاد فتذكر الوضع الغريب الذي هو فيه ، فعاد ينتحب من جديد . وقال :

« ماذا عسانا نعمل الآن ؟.. حتى لو اردنا أن نضع تقريراً ، فاي خير في هذا ؟ » .

واجاب الآخر : « اتدري فخامتكم؟ ذهب انت شرقاً ، واسير انا غرباً ، وعند المساء نعود الى هنا ، فلعلنا نجد شيئاً . »

وراحا يتحققان اين الشرق واين الغرب . وتذكرا ان رئيس دائرتهما قد قال لهما مرة : « اذا اردتما ان تعرفا اين الشرق فليدر الواحد منكما وجهه الى الشمال فيكون عن يمينه . » ولكنهما اذ حاولا أن يعرفا اين الشمال استدارا الى اليمين ثم الى اليسار والتفتا حولهما الى كل جانب ، ولكن لما كانا قد صرفا حياتهما كلها في دائرة السجلات ، فان جهودهما كلها قد ذهبت عبثاً .

وقال احدهما ، الذي كان قد عمل ليس في دائرة السجلات فقط ، بل معلماً للخط ايضاً في مدرسة الاحتياطي ، وهكذا كان ابنه :

« ارى ، ياصاحب الفخامة ، أن خير ما نعمل هو أن تسير انت الى اليمين ، واسير انا الى اليسار . »

وهكذا فعلا . وسار احدهما الى اليمين فرأى اشجاراً تحمل شتى انواع الفاكهة . فود لو استطاع ان يقطف تفاحة ، ولكنها كانت جميعها عالية تلزمه التسلق . فحاول أن يتسلق ، فلم يستطع . وكل ما استطاعه هو تمزيق قميصه. ثم وصل الى جدول تملأه الاسماك . فقال في نفسه: « كم كان رائعاً لو كان لنا هذا السمك كله في شارع بوديا تشسكايا . » وسال لعابه

ثم دخل احراجاً فوجد طيور الحجل والقطا ، وارانب . فصرخ وقد اشتد به الجوع : « يالله... ما هذا الفيض من الطعام !! »

غير انه اضطر الى العودة الى المكان المتفق عليه فارغ اليدين . ووجد الموظف الآخر في انتظاره .

وقال : « حسناً ياصاحب الفخامة، كيف سارت الامور ؟ أوجدت شيئاً ؟ » .

فاجاب : « لا شيء سوى عدد قديم من جريدة « موسكو غازيت » .

واستلقى الموظفان ليناما ، ولكن معدتيهما الفارغتين لم تتركا لهما سبيلا للراحة. ونفى عنهما النوم التفكير فيمن يتمتع الآن بمعاشيهما وفي الفاكهة والاسماك والطيور والارانب التي رأياها اثناء النهار .

وقال احدهما : « ان غذاء الانسان في شكله الاصلي يطير ويسبح وينمو على الاشجار ، من كان ليفكر في هذا ، ياصاحب الفخامة ؟ »

فاجاب الآخر : « الواقع اني انا ايضاً كنت اتخيل أن فطورنا جاء الى العالم بالشكل الذي نراه فيه على المائدة . »

— « وعلى هذا اذا شئنا ان نأكل حجلا ، علينا اولا ان نقبض عليه ثم أن نقتله ، وننتف ريشه ، ونشويه . ولكن كيف يصنع هذا كله ؟ »

— « أجل ، كيف يصنع هذا ؟

ثم صمتا . وحاولا النوم مرة أخرى ولكن الجوع سلب الرقاد من عيونهما . وراحت تمر في مخيلتهما الطيور والارانب مشوية مبهرة مع التوابل والمخللات .

وقال احدهما :« اعتقد ان في وسعي الآن أن التهم نعلي . »

وقال الآخر : « القفازات ايضاً ليست رديئة لا سيما اذا ما انضجت . »

وتفرس كل منهما في الآخر . وشعت في نظراتهما نار الشر . واصطكت اسنانهما وخرجت من صدريهما تنهدات حزينة . وفجأة ثارت ثائرتهما كأنما اصيبا بمس وارتفع صراخهما وعويلهما ، وهجم الموظف الذي كان معلماً للخط على زميله وانتزع منه وسامه وابتلعه . ولكن رؤية الدماء اعادتهما الى صوابهما .

وصرخا معاً : « ليساعدنا الله ! اننا طبعاً لم نقصد اكل بعضنا بعضاً . كيف وصلنا الى هذا؟ اية روح خبيثة تعبث بنا؟ »

وقال احدهما : « يجب علينا ان نتسامر لنمضي الوقت ، والا وقعت جريمة

فاجاب الآخر : « فلتبدأ انت . »

قال : « ايمكنك ان تفسر لماذا تشرق الشمس اولا ثم تغيب ؟ ولماذا لا يحصل الامر بالعكس ؟ . »

قال : « الست مضحكاً ياصاحب الفخامة ؟ انك تستيقظ اولا ثم تذهب الى المكتب وتعمل ، وفي الليل تنام . »

قال : « ولكن لماذا لا يستطيع المرء ان يفترض العكس ، أي ان الانسان ينام ، ويرى شتى الاحلام ، ثم يستيقظ ؟ »

قال : « طبعاً ، ولكني حينما كنت لا ازال موظفاً ، كنت افكر دائماً على هذا النحو : الآن الفجر ثم يحل النهار ، ثم يأتي العشاء ، ثم يأتي موعد النوم . »

وأثارت كلمة « العشاء » ذكريات النهار ، والتفكير بها جعلهما كئيبين كأنما اصيبا بالسوداء ، فكفا عن الحديث .

وبعد هنيهة عاد أحدهما فقال : « ان طبيباً قال لي مرة ان الانسان يستطيع العيش مدة دون طعام »

— « وبعد ذلك ؟ »

— « وبعد ذلك لا بد من الطعام . »

— « الشيطان ! »

وهكذا ما كانا يختاران موضوعاً للحديث الا وعاد بهما الى حديث الطعام الذي كان يثير شهيتهما اكثر فاكثر . فقررا ان يكفا عن الحديث جملة . وتذكرا الجريدة التي عثر عليها احدهما ، فالتقطاها وراحا يقرآن :

حفلة يقيمها رئيس البلدية

« وضعت المائدة لمئة شخص . وقد فاقت ابهتها كل وصف . فقد جمعت الاسماك من شكسنا الى الديوك البرية من احراج القفقاس الى الفاكهة الطازجة التي قلما توجد في الشتاء ... »

فصرخ احدهما يائساً : « الى الشيطان! بالله كف عن القراءة ، يا صاحب الفخامة ألم تجد موضوعاً آخر تقرأه . »

واختطف الجريدة من زميله وبدأ يقرأ موضوعاً آخر :

« يقول مراسلنا في تولا ان سمكة حنش قد وجدت في اوبا ، وهو حدث لم يذكر مثله سكان تلك المنطقة . وقد اقيمت في هذه المناسبة حفلة في النادي قدمت فيها هذه السمكة مع المخلل وفي

حذار من الاعتداء

بسرعة جنونية يحضر ا
صرح الشعوب : الاتحاد السو
ان تكون انقاذا لنظامهم م

ولكن هتلر من قبله
الاتحاد السوفياتي ، وكان ا
ايضاً : حلم القضاء على صرح

لقد نهب قطعان هتلر خ
في زهو النصر ، هذه الحيوا
ان مثل هذا سيكون نصيبه
كانت النتيجة ؟

فيما يلي نترجم لقرائنا
الحرب العالمية الثانية يصو
انذار لكل المستعمرين الذين
لقد وصفها الشاعر الا
احد الجنود الالمان .

« – وماذا بعث اليك ، يا فتاتي الـ
براغ ؟

– من براغ بعث الي احذية ذات
الراقصة ، من المدينة القديمة ، القديمة برا

– وماذا بعث اليك ، يا فتاتي الظر

– من امستردام ، بعث الي قبعة
من كنوز امستردام !

– وماذا بعث اليك ، يا فتاتي الـ

– من باريس ، بعث الي ثوبا
احلامي ، من باريس مدينة النور !

– وماذا بعث اليك ، يا فتاتي
الفلاندر الحمراء ؟

– من بروكسل ، بعث الي شر
رأسي ، من بروكسل في اراضي الفلاند

– وماذا بعث اليك ، يا فتاتي الـ
العميقة ؟

– من روسيا ، بعث الي ثياب حد
اثر الجنازة ، من ثلوج روسيا العميقة

...جيك (١) موظفين

...ساتيكوف

...فيها حصة من البقدونس. ووزع الدكتور ...ب. على كل من الضيوف قطعة من السمكة ... »

فقاطعه الموظف الاول قائلا : « اسمح لي يا صاحب الفخامة ، يبدو لي انك انت ايضاً لست موفقاً في اختيار موضوع القراءة » .

(١) موجيك : لقب الفلاح الروسي في عهد القيصر

...على صرح الشعوب

...المستعمرون لحرب عدوانية جديدة ضد ...فياتي. انهم يتأملون من هذه الحرب ...يتأكله من ازمات اقتصادية .

... ، وبعد ان اخضع اوروبا ، هاجم ...الم الخبيث يراوده خياله الاجرامية ...الشعوب ...

...وات اوروبا ، وارسل الجنود الالمان ، ...ت هدايا الى نسائهم في المانيا وظنوا ...م في ارض الاتحاد السوفياتي ، فماذا

...قصيدة نظمها شاعر الماني بافاري اثناء ...ف فيها هذه النتيجة بلغة حية ، هي ...يراودهم اليوم حلم هتلر الخبيث . ...اني على شكل مخاطبة بينه وبين امرأة

...طريفة ، من المدينة القديمة ...القديمة

... اشرطة ، احذية باشرطة لاصابعي ...ع !

...فة ، من كنوز امستردام ؟ ...قبعة لطيفة تحيط بها اسلاك من ذهب ،

...

...طريفة ، من باريس مدينة النور ؟ ...حريريا ، ثوبا حريريا طالما داعب

...الطريفة ، من بروكسل في اراضي

... زاهيا ، شريطا زاهيا اعقده حول ... الحمراء !

...طريفة ، من الثلوج الروسية العميقة ...

...الارملة ، ثياب حداد الارملة على ... العميقة ارسل الي ثياب الحداد ! »

وانتزع منه الجريدة وأخذ يقرأ : « اكتشف أحد السكان القدماء في فياتكا طريقة مدهشة لصنع مرق السمك . يؤخذ سمك القد ويضرب بهراوة حتى يتفتت كبده ... »

فاطرق الموظفان وقد اسقط في ايديهما . لم تقع اعينهما على موضوع الا وكان له صلة بالاكل . وقد بذلا جهداً كبيراً لصرف افكارهما عن الاكل فما استطاعا فكان خيالهما يعود دائما الى شرائح اللحم والتوابل والفاكهة وغيرها مما كانا يتوقان اليه .

وفجأة هبط الوحي على الموظف الذي كان يلم الخط فقال :

— « وجدتها ! . ما قول فخامتكم في ان نعثر على موجيك ؟ .. »

— « موجيك يا صاحب الفخامة ؟ اي نوع من الموجيك ؟ »

— « موجيك عادي ، موجيك ككل موجيك آخر . انه يستطيع ان يحضر لنا الفطور ويصطاد لنا الاسماك والطيور . »

— « آه ... موجيك . ولكن أنى لنا موجيك ، ولا موجيك هنا ؟ »

— « لماذا لا يكون هنا موجيك ؟ هنالك موجيك في كل مكان . وكل ما على الانسان ان يعمل هو على ان يصطادهم . لا بد ان يكون موجيك هنا مختبيء في مكان ما تهرباً من العمل . »

وطرب الموظفان لهذه الفكرة ، وقفزا حالا ليبحثا عن موجيك .

وجابا في اطراف الجزيرة مدة دون ان يعثرا على بغيتهما الى ان نفذت الى خياشيمهما في النهاية رائحة خبز أسود وجلد خروف ، فقادتهما الرائحة في الاتجاه الصحيح . وهنالك تحت احدى الاشجار كان موجيك ضخم مستلقياً غارقاً في نومه . طبعاً انه تهرباً من العمل قد فر الى هذه الجزيرة . فغضب الموظفان غضباً شديداً . وصرخا :— « لماذا انت نائم هنا أيها الكسول ! أأمر تافه في نظرك أن هنا موظفين يكادان يموتان جوعاً . قم ، امشي ، اعمل . »

ونهض الموجيك ونظر الى السيدين الواقفين أمامه . وكان أول ما فكر فيه الهروب . ولكن الموظفين امسكا به . فاضطر الى الاستسلام لحظة . عليه أن يعمل .

فتسلق اولا شجرة تفاح واقتطف بضع عشرات من ثمراتها للموظفين . واحتفظ بواحدة لنفسه . ثم حفر في الارض واستخرج بعض حبات البطاطا ثم اشعل ناراً بقطعتين من الخشب حك الواحدة منهما بالاخرى . ومن شعره صنع شركا اصطاد به حجلا . وطبخ على النار التي اوقدها عدة انواع من الاطعمة حتى تساءل الموظفان عما اذا كان يجب ان يعطياه شيئاً منها .

واذ شاهدا جهود الموجيك داخلهما الفرح ونسيا أنهما في الامس كادا يموتان جوعا وكل ما فكرا فيه الآن هو : « ما احسن ان يكون المرء موظفاً . لن يلم شر بموظف . »

وسأل الموجيك الكسول : « اراضيان انتما ايها السيدين ؟ »

فاجاب الموظفان : « نعم ، اننا نقدر جهودك . »

— « اذن تسمحان لي ببعض الراحة ؟ »

— « اذهب واسترح قليلا ، ولكن قبل ان تذهب أصنع حبلا متيناً . »

فجمع الموجيك بعض الالياف البرية وبلها في الماء وعند المساء كان قد جدل منها حبلا غليظاً متيناً . فأخذ الموظفان الحبل وربطا الموجيك الى شجرة كي لا يهرب . ثم استلقيا للنوم .

وهكذا مرت الايام ، واصبح الموجيك ماهرا في العمل . وسمن الموظفان وانتفخت اوداجهما وسرهما انهما ليسا في حاجة الى انفاق المال وان معاشهما في هذه الاثناء يتكدس في انتظارهما في بطرسبرج .

وقال احدهما للاخر في احد الايام بعد الفطور . « ما رأي فخامتكم ، هل قصة برج بابل حقيقية ؟ ألا تظن انها مجرد قصة رمزية ؟ »

— « كلا يا صاحب الفخامة . اعتقد انها وقعت فعلا . والا فاي تفسير آخر لوجود عدد كبير من اللغات المختلفة ؟ »

— « اذن ، فلابد ان الطوفان قد وقع كذلك ؟ »

— « طبعاً ، والا فكيف تفسر وجود الحيوانات السابقة للطوفان ؟ وفضلا عن ذلك فان جريدة « موسكوغازيت » تقول »

واخذ يبحثان عن ذلك العدد القديم من تلك الجريدة ثم جلسا في الظل وقرآ ذلك العدد من اوله الى آخره . وقرآ عن الحفلات . والولائم في موسكو وتولا وبنزا وغيرها ، ولكنهما في هذه المرة لم ينزعجا لوصف لذائذ الاطعمة .

وبدآ يملان هذه الحياة . واخذا يفكران في طاهيهما في بطرسبرج وبكيا وقال احدهما للاخر :

— « اني لأتساءل كيف شارع بودياتشسكايا الآن ، يا صاحب الفخامة »

— « آه ، لا تذكرني به يا صاحب الفخامة . ان الشوق الى الوطن يضنيني »

— « ان الحياة جميلة هنا . ولكن الحمل يشتاق الى امه النعجة . ويا حسرة على الملابس الرسمية »

— « آه ، طبعاً ، ان الملابس الرسمية للدرجة الرابعة ليست شيئاً عاديا ان القصب وحده يكفي لأن يخبل الانسان . »

وراحا يلحان على الموجيك ان يجد لهما سبيلا للعودة الى شارع بودياتشسكايا . والغريب ان الموجيك كان يعرف اين يقع هذا الشارع . وكان قد شرب كأساً من الجعة هناك .

وفرح الموظفان وقالا له : « اننا موظفان من شارع بودياتشسكايا »

وقال الموجيك : « وانا احد اولئك الرجال الذين يجلسون على صقالة تتدلى بالحبال من السطوح ، ويطلون الجدران الخارجية . انا احد اولئك الذين يدبون على السطوح كالذباب . »

وبذل الموجيك جهداً ليرضي الموظفين ، ونجح في بناء سفينة تقطع بهم المحيط الى شارع بودياتشسكايا .

وحينما رأى الموظفان الزورق يعلو ويهبط على الأمواج صرخا :

— « اقتيه ، ايها الكلب ، لا تغرقنا . »

فاجاب الموجيك : « لا تخافا نحن الموجيك معتادون على هذه الامور »

وخلال السفرة اشتد خوف الموظفين واشتد سخطهما على الموجيك . ولكن الموجيك واصل عمله بهدوء . وفي النهاية لاح لهما نهر نيفا ووصل الزورق الى قنال كترين ثم وصلا الى شارع بودياتشسكايا . وعندما رأى الطاهيان الموظفين سمينين فرحين أخذهما الطرب . واكل الموظفان وشربا القهوة ثم ارتديا ملابسهما الرسمية وسارا الى مكتب معاشات التقاعد وقبضا من المال مبلغاً كبيراً لا يوصف . ولم ينسيا الموجيك فنفحاه بكأس من الويسكي وخمسة كوبكات .

فافرح ايها الموجيك .

قصة

الحزام الذهبي

بقلم : فيكتور مرغريت

استلقى ايف لومونيال على سريره الصغير الذي شغله جثمانه ، وراح السرير يتأرجح به على مهـــل . ان المركب الراحـــل يرقص على البحر المصطخب ، الذي تصطفق امواجه وتلطم جنبات السفينة . وكانت أحلام ايف تتـأرجح مثله هادئة مسترسلة في أماني عـذبة على نغمـات المحركات واهتزاز المركب الكبير في سيره المضطرد ، وسقط ايف فجأة من فراشه مربد اللون جزعـاً مذعوراً .

لقد حدث اصطدام عنيف قلب السفينة على جنبها في مياه البحر متثاقلة متباطئة وعلا ضجيج صاخب تخلله تكسر اخشاب السفينة، وتمزق رائع في احشائها، وخبط اقـدام المتراكضين ، واصوات المذعورين ، وصراخ العاجزين ، وانين الجرحى .

وتمثل ايف هول الكارثة وادرك فداحة الخطب وايقن ان الباخرة تغوص في قعر البحر شيئاً فشيئاً يغمرها الضباب وتتدفق المياه اليها لتلف سائر المخلوقات وتطويها في اغوارها السحيقة .

وتذكر تطيره وتشاؤمه ، عـندما وقع بصره على هذا الهيكل الضخم اول مرة فرآه يرزح تحت الضباب. ان ضباب الاطلسي شيء رهيب حقاً، يبسط الظلمات في النهار بعضها فوق بعض ، لا ينفع معهـا مصباح ولا تجدي اشعة منارة التحذير، واوحت غريزة البقاء الى ايف ان يسب قائد السفينـة الذي اهمل وتـهاون ولم يتسرع في شق الضبـاب ، ليخرج الى أمان الضياء . لكن هـذه الخواطر لم تستمر ، فقد انطفأ النور في السفينة ، وران عليها الظلام الدامس .

ليس على ايف غير قميص وسروال ولكنه لا يبالي بذلك ، ولا يهمه من دنياه سوى شيء واحد . . . فهب من مكانه لا يلوي على شيء ، يدفع عن طريقه شركاءه في الغرفة ، وانطلق في الممر الضيـق ، مقنفس الظهر ، متلع العنق، متطامن الرأس ، يدوس الاجسام التي تعوق سبيله ، تحفزه قوة لا تقاوم ، ولا تحد من شدتها أنة او استغاثة .

وما نسي ايف، في جموحه الكاسح، ان عد بين هنيهة واخرى ، بدءونما ارادة او تفكير الى حزامـه ، الى حزام ثقيل من الجلد المحشو بالدولارات الذهبية وهي ثروته كلها. ان هذه الثمانية آلاف دولار ، الملفة بجسمه ، المطوقة خصره ، هذه الدائرة الصلبة ، الجـامدة ، عزيزة على نفسه ، يتحمل عبئهـا المؤلم راضيـاً ممتناً . انه لم يكن ليرضى من اجلهـــا بكل هذا الشقـاء ، لو كانت معـدناً حقيراً ، فهي عبء شديد ولكنه مستحب الى قلبه ، واي عبء اخف من الذهب على الانسان ، ان هذا الذهب حيـاته السابقة ، شقاؤه وبؤسه وعمله المرهق ، بل وحياته الراهنة ، وحياته المقبلة معاً .

وقد كان يحمل هذا الذهب، قبل ساعات خلت ، مزهواً مسروراً ، لانه زبدة ما عانـاه من بؤس وحرمان في ماضيـه التعس ، قبل ان يحط عصا الترحال في ولاية كلونديك الاميركية ، ويحالفه الحظ ويجني ثروته فيها ، فتؤنسه هـذه الاحلام الباسمة بمستقبله الهادىء المطمئن معللا نفسه انه سينفق مما كسبت يداه بأناة ، في بيت جميل يأويه في بلاده ، في مقاطعة تورين الغناء . ما ابهج الحياة الهانئة، بعد خمس واربعين بلغها الانسان وقد قضاها في اشق الاعمال واعنف المتاعب ، فلتنقض ايامـه الجديدة حلوة مترفة ، دون مشـاغل ودون هموم لا تكاليف فيها ولا ارهاق .

وصعد ايف الدرج ، يصون حزامه ويتقي الضربات الشديدة التي تنهال من كل صوب ، وبرز الى الهواء الطلق ، بعـد ان ارتمى هـذه المراقي البشرية وتخطى هـذه الاجسام الطرية الرخوة كأنما يدوس اكداساً من اللحم . لا ريب في ان امرأة او طفـلا او شيخاً يتلوى تحت اقدامه . وكانت الاصوات المتنافرة بين انين وصياح اهوج تصم اذنيه . وقد لمح في النفق الضيق اناساً يتضاربون ، ولكنـه في شغل عنهم ، لا يهمه ما يجري حواليه . ان شيئاً واحدا يعنيه في هذه المـأساة . . انه حزامه الذهبي . . . واندفع من جديد الى الامام، ليعتكفون على جسر المركب . وينجو بنفسه قبل غيره .

وابصر في الظلام اشباحاً يحركها الذعر ، لا تعي ما تفعلـه ، ان كل شيء يخفى عن الابصار في هذا الغشاء الكثيف الذي ضرب على الطبيعة ستاراً غليظاً، وعلم ايف من انحناء المركب المستمر انه مشرف على الغرق العـاجل ، وسمع عن يمينه جلبة وضوضاء ، ما لبث ان ابتلعهما هدير مياه البحر وتلاطم الامواج. كان هدير البحر يطغى على سائر الاصوات.

ما العمل ؟ اين النجاة ؟ انتابت ايف فترة من التخاذل واليأس ، فترة كلهـا حرقة وحسرة على الماضي ، هذا الماضي المشوم الجائر ، الذي انقضى في الكد والسعي ، واستبد به التعب ، ولعن هذا القضاء القـــاسي ، وشعر بقشعريرة تسري في عروقـه ، اشد زمهريراً من رياح البحر الصقيعة .

لم يطل شعوره هـــذا ، وعاوده عزمه وتعلقه بالحياة ، فصعد جسر السفينة لانه احس بان الارض تغور من تحته ، وانه ينجرف الى هاوية لا قرار لهـا ، وعلق بزاوية ما ، ونظر حوله فرأى فريقاً من البحارة بالقرب منه يتضاربون بعنف ، للاستيلاء على زورق صغير ، هو آخر امل وآخر رجاء للجميع ، فأخرج أحدهم مدية واغمدها في صدر زميله ، بينما ينزل الزورق الصغير الى البحر ليرقص على موجاته كأنما يهزأ منهم جميعاً ، واحتدم القتال الدامي بين البحارة وازداد الهياج ، ورمى الاقوياء بالضعفاء الى اعماق البحر .

راقب ايف لومونيال سير القتال متربصاً ، ينتظر الفرصة السانحة ، ثم وثب الى الزورق ، وامسك بمجداف ضرب به البحر بسرور بالغ ، متحسساً حزامه ، فرحاً كالاطفال ، سعيداً بالتصاقه على بدنه ، سعيداً بثقله . ان الدنيا كلها في قطعة الجلد هذه . . .

ماذا ؟ ما هذه الايدي المشتبكة بالزورق، متوسلة مستعطفة، مذعورة؟؟؟.. هلا ينجو بسلام؟ ما بال هؤلاء يعترضون سبيله ؟ . . كل انسان لنفسه . . . واطمأن ايف عندما انهالت المجاديف على رؤوس المستغيثين، وشاهد الايدي المدماة تتخلى عن الزورق ، والرؤوس المهشمة تغوص دون كلمة في المياه .

وتجدد أمله ، عندما رأى انوار سفينة النجدة تخترق الضبـاب ، باحثة متحرية ، وارتفعت اصوات ركاب الزورق مستنجدة . ولكن اني لهـــذه الاصوات المبحوحة ، ان تعلو على زئير الامواج ، وتبلغ مسامع المغيثين .

انه يجدف بقوة نحو سفينة الانقاذ التي تتضاءل انوارها تارة ، وتبدو قريبة منه تارة اخرى. ان الامل يلازمه، وكان كلفه بالحياة وتكالبه عليها ، يحفزه ويشد عزيمته ، ويبعث فيه الشجاعة وصموداً .

ذهبه معه! انه يريد ان يعيش، وان يعيش مع ذهبه .

شعر فجأة، ان الزورق قد انساب من تحته ، وانه ارتفع في الفضاء ، وان الامواج تضربه ، وانه مرتفع فوق المياه كريشة منشورة. افلت المجداف من يديه ، وبقي وحيداً في بحر متلاطم ثائر.

احس بالاشياء احساساً غريزياً، انه ما يزال ينظر الى هذا الضياء الضئيل يدنو منه، انه سبيل النجاة، فملأ نفسه بالآمال من جديد انه سيقطع المسافة الى هذا الضياء سباحة ، مائة متر او مائتان على اكثر تقدير ليس هذا بكثير واحس بانه يحمل نيراً في عنقه ، وانه عناق ثقيل مرهق: يجذبه الى الاغوار ، الحزام الذهبي .

شحذ ارادته ليبقى على سطح الماء ، فيه ان ثقل الذهب يشل كل حركة فيـه ، ويجره الى الاعماق . ايحل الحزام ؟

ايخفف العبء ؟ ايتحرر ؟ . . .

لقد خطر بباله هذا الخاطر اليائس. .

ونشب عراك بين نفسه وجسمه ، عراك يمزق الاحشاء ، عراك لا طاقة له باحتماله .

واخذ الماء يملأ فمه وعينيه ، ماء مر المذاق ، اكثر ما في العلقم من طعم ممجوج ، فضرب زبد البحر ضربات شديدة بيديه المتشنجتين ، وقبض على الماء ليتعلق بالحياة ، فلم يمسك الا بالاغوار السوداء للظلمـة ، والاختناق الهاصر ، وهامت برودة الموت في اطراف بدنه . . . وتهاوى في اعماق لا قرار لها .

لقد تغلب الحزام الجاني والذهب المجرم على الحياة . . . هكـذا مات ايف لومونيال تحت العبء الفادح ، كما مات الكثيرون امثاله تحت العبء نفسه .

رأيت ملايين الاكف

بقية المنشور على الصفحة الاولى

وتأرجحت الأكف السوداء
واهتزت بألم
عندما كانت السنة النيران
تشوي اللحم الاسود الداكن .
****
- ٤ -
انا اسود ، وقد رأيت اكفاً سوداء
ارتفعت بقبضات الثورة
جنباً الى جنب مع قبضات العمال البيض
وفي يوم من الايام
— وهذا ما يحفزني —
ستصبح هذه الأكف ملايين وملايين ،
وبارتفاعها
سيتوهج كالهب
افق يوم جـــديد . . .